

الحلقة الثالثة والعشرون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هو الأمر الذي يستحوذ على قلبك وكيانك يا صديقي؟ أو ما هو الأمر الذي تعطيه كامل اهتمامك وتحرص عليه أشد الحرص؟ أو من هو الشخص الذي تقدّم له حبك الكامل والعميق؟ بالطبع لكل منّا أمور تستحوذ على قلبه، ويقدم حبه الأول وولاءه لأشخاص معينين.

قد نتساءل: وما هو الخطأ في ذلك؟ أو ليس شيئاً جيداً أن يكون للإنسان أمراً يستحوذ على قلبه وكيانه ويهتم به ويحرص عليه؟ أو ليس أمراً مفضلاً أن نقدم حبنا الأول وولاءنا الكامل لشخص معين؟ في الحقيقة لا يوجد أي خطأ في هذا الأمر، وهو محبذ ومستحب. لكن المشكلة تقع عندما يكون هذا الأمر أو الشخص الذي نتعلق به، يقف حائلاً بيننا وبين أمر أهم أو حقيقة كبرى علينا أن نتعرف عليها ونكتشفها في حياتنا. وبتعبير آخر إن الأمر يتعلّق بالأولويات التي نضعها. وعندما تكون الأولويات صحيحة، لا تصبح عندها أية مشكلة.

ولكي يغدو كلامنا واضحاً لا بد لنا أن نقدم ما تحدّث به المخلص يسوع المسيح في هذا المجال، إذ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًَّ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلِيْبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي. مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيْعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدُهَا» (بشارة متى ١٠: ٣٧-٣٩). فماذا قصد المخلص المسيح بهذا القول؟ وهل هو طلب منّا أن لا نحب والدينا أو أولادنا؟ بالطبع كلا. لأن إحدى الوصايا الهامة في شريعة الله قد دعت لإكرام الأب والأم وإطاعتهما، وقالت أنه على هذا الأساس يباركنا الله.

صديقي المستمع، يبدو واضحاً أن المخلص المسيح أراد منّا ترتيب الأولويات. فبما أن الوصية واضحة لإكرام الوالدين ومحبتهما، أي أهمية محبة العائلة، فإن المسيح قصد أنه علينا أن نحبّه هو أولاً وقبل كل شيء. والسبب لأن محبة العائلة أولاً تعني الأناثية وتعيق محبتنا للمسيح.

أجل، إن محبتنا للعائلة أولاً، تعني الأنانية وبتعبير آخر تعني محبة الذات. لأن العائلة هي عائلتي أنا، وتتعلق بي شخصياً، وعندما أحبها أولاً أطلب المصلحة لنفسي، ولعائلتي. وهذه قمة الأنانية ومحبة الذات. وهذا بدوره يعيق محبتي للمخلص المسيح، ويجعله في المركز الثاني من محبتي. ولهذا قال المخلص المسيح: «مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًَّ أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوْ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي». أي لا يستطيع أن يحبني حقاً ومن كل القلب، لأن هناك أموراً أخرى أهم بالنسبة له تقف بينه وبين محبته الكاملة لي، ولهذا لا يستحقني.

وهنا ننتقل إلى الآية التالية من تصريح المسيح والتي قال فيها: «وَمَنْ لَا يَأْخُذُ صَلِيْبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي». أي لكي نتبع المخلص المسيح علينا أن نتخلى عن كل ما يجذبنا إلى هذا العالم من شهوات وأهواء ومطامح، أي نصلب جسدنا. وهذا ما قصده المسيح بقوله أن يأخذ الإنسان صليبه، أي صليب نكران الذات والتخلي عن كل شهوات الجسد وأهوائه. وهذا بالطبع يعني الألم، لأن في نكرات الذات والتخلي عن الشهوات ألم أكيد للجسد. وهو الصليب الذي أراد المخلص المسيح من الإنسان أن يأخذه أو يحمله.

ولنلاحظ قول المخلص المسيح أن «مَنْ لَا يَأْخُذُ صَلِيْبَهُ وَيَتَّبِعُنِي فَلَا يَسْتَحِقُّنِي». أي لا يستحق أن يكون لي تلميذاً. لأن الذي يريد أن يكون تلميذاً للمسيح عليه أن يحب المسيح أولاً، وأن يحمل صليبه، أي ينكر ذاته، وأن يتخلى عن شهوات الجسد وأهوائه، ويتبع المسيح أي بأن يجعله الأول في حياته.

مستمعي الكريم، ثم ختم المخلص المسيح ملخصاً كلامه قائلاً: «مَنْ وَجَدَ حَيَاتَهُ يُضِيعُهَا، وَمَنْ أَضَاعَ حَيَاتَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدُهَا». إن هذه الآية تعرض نفس الحقيقة التي تكلمنا عنها قبل قليل، بوجهيها السلبي والإيجابي. فالتضحية بشهوات الجسد والأطماع الأرضية يجعلنا نريح المسيح والحياة الحقة. وفي المقابل إن التمسك بشهوات الجسد وأهوائه يجعلنا نخسر المسيح والحياة الحقيقية هنا في هذا العالم وفي العالم الآتي. والحقيقة أنه كلما زاد تعلقنا في شهوات وأهواء ومطامح هذه الحياة، (كمحبة الذات، وشهوات الجسد، والشهرة) كلما فقدنا حياتنا وأضعناها في أمور زائلة فانية.

وبتعبير آخر كما ذكر المسيح إن التعلق بأمور هذه الحياة الفانية يجعلنا ننظر أننا وجدناها، لكن في الحقيقة نكون قد أضعناها. بينما في المقابل إن التخلي عن شهوات الحياة من أجل الإيمان بالمخلص المسيح، أي إضاعة حياتنا، نكون حقاً وفعلاً قد وجدناها. أي كما قال المخلص المسيح في مناسبة أخرى: «فَإِنْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِ يَجِدُهَا» (بشارة

متى ١٦:٢٥). نعم، إن التمسك بشهوات هذه الحياة وأهوائها ومباهاجها يقود إلى هلاك النفس، بينما التخلي عنها من أجل المسيح يخلص النفس.

هل تعلم مستمعي لماذا أكد المخلص المسيح على هذه الحقائق؟ وطلب أن يكون هو الأول في حياتنا؟ إن الجواب واضح: فهو المخلص الذي مات على الصليب لكي يكفر عن ذنوبنا، ولكي يجعلنا من أولاد الله وليهبنا الحياة الأبدية. أفلا يستحق منا في المقابل كل هذه التضحية، وتسليم قلوبنا بالكامل له؟

ألا ترغب مستمعي أن تجعل المسيح المخلص هو الأول في حياتك؟ وأن تصلب جسدك الشرير؟ تستطيع أن تأتي إليه الآن بالإيمان فقط، والله قادر أن يحرك من كل ما يربطك ويعيق محبتك له. وعليك أن تتذكر قول المسيح أيضاً: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (بشارة متى ١٦:٢٦).